رثاء مجلة الفتح

مصطفى صادق الرافعي*

محب الدين الخطيب

من خمسمائة سنة وأكثر لم يحمل هذا القلم كاتب أمتن في العربية قولا، وأبلغ معنى، وأغزر حكمة، وأوجز في التعبير عن دقائق الخواطر، من فقيد الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي.

لما وقع نظري في مساء الاثنين من هذا الأسبوع على خبر وفاته لم أصدق نظري فيما يرى، ولم يصدق نظري ما رأى، لعقيدة رسخت في نفسي بأن مصطفى صادق الرافعي لا يموت، وكيف يموت من أراه حيا في كل صفحة من مؤلفاته ، وفي كل سطر من كل صفحة، وإن مافي كتاب واحد له من بليغ الحكمة ونوابغ الكلم لو أنه جرد مستقلا في كراسة، ولم يكن لمصطفى صادق الرافعي ما يدل على أدبه غيرها، لكان بذلك في الطبقة الممتازة من حكماء الناس وأدبائهم .

لما كنت في دراستي الابتدائية كنت أحفظ قول حافظ إبراهيم فيه:

وأوتيت النبوءة في المعاني
وما جاوزت حد الأربعينا

ولو أن مصطفى صادق الرافعي أباد من الوجود كل ما استحق به هذه الشهادة من حافظ، لكان بعض ما زين به عقول الناس وألسنتهم بعد ذلك من بارع قوله كافيا لأن يكون من الخالدين .

من الأدباء والمثقفين من يساوي في أدبه وثقافته مقدارا كوفئ عليه بأضعاف أضعافه، لأنه خراج ولاج، يحسن المتاجرة بالأدب، ويعرف كيف يحمل من بأيديهم الثمن على أدائه له مضافا إليه الربا وربا الربا

مبادئ الفتح
الفتح للعلم والعمل والمنفعة جميعا
الفتح
محب الدين الخطيب
مصطفى صادق الرافعي
الاشتراك السنوي ٣٠ قرشا في مصر ٥٠ قرشا في الخارج
الاعلانات: يتفق عليها
صحيفة إسلامية أدبية
ثمن النسخة ٥ مليمات
(العدد ٥٤٩ - العام الحادي عشر) شارع البورصة (دار الجامعة) بالقاهرة تليفون ٥٥٣٦٤ ٢ ربيع الأول ١٣٥٦

مصطفى صادق الرافعي

من خمسمائة سنة وأكثر لم يحمل هذا القلم كاتب أمتن في العربية قولا، وأبلغ معنى، وأغزر حكمة، وأوجز في التعبير عن دقائق الخواطر، من فقيد الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي

لما وقع نظري في مساء الاثنين من هذا الأسبوع على خبر وفاته لم أصدق نظري فيما يرى، ولم يصدق نظري ما رأى، لعقيدة رسخت في نفسي بأن مصطفى صادق الرافعي لا يموت، وكيف يموت من أراه حيا في كل صفحة من مؤلفاته ، وفي كل سطر من كل صفحة، وإن مافي كتاب واحد له من بليغ الحكمة ونوابغ الكلم لو أنه جرد مستقلا في كراسة، ولم يكن لمصطفى صادق الرافعي ما يدل على أدبه غيرها، لكان بذلك في الطبقة الممتازة من حكماء الناس وأدبائهم .

لما كنت في دراستي الابتدائية كنت أحفظ قول حافظ إبراهيم فيه:

وأوتيت النبوءة في المعاني
وما جاوزت حد الأربعينا

ولو أن مصطفى صادق الرافعي أباد من الوجود كل ما استحق به هذه الشهادة من حافظ، لكان بعض ما زين به عقول الناس وألسنتهم بعد ذلك من بارع قوله كافيا لأن يكون من الخالدين .

من الأدباء والمثقفين من يساوي في أدبه وثقافته مقدارا كوفئ عليه بأضعاف أضعافه، لأنه خراج ولاج، يحسن المتاجرة بالأدب، ويعرف كيف يحمل من بأيديهم الثمن على أدائه له مضافا إليه الربا وربا الربا ، وإن من الأدباء رجالا يرون أدبهم أكرم عليهم من أن يتاجروا به ، فيعيشون لأجيال أخرى تصغي إلى عبقريتهم في هدأة من ضجيج الأغراض والمطامع ، وفي سكينة النفس الشاعرة المنصفة ، وها قد فارقنا منهم الكاتب الأعظم مصطفى صادق الرافعي بعد أن عاش ما عاش بيننا كما لو كان من أهل الفهاهة والعيِّ ، ولو أنه صرف مواهبه في الاتجار بما يحتاج إليه الناس في بطونهم وشهواتهم لارتفعت به هذه المواهب إلى قمة الثروة وسعة الغنى . لكنه آثر أن يعيش منشدا:

في ضميري دائما صوت النبي
آمرا: جاهد، وكابد، واتعب!
صائحا: غالب، وطالب، وادأب
صارخا: كن دائما حراً أبي
كن سواء ما اختفى وما علن
كن قويا بالضمير والبدن
كن عزيزا بالعشير والوطن
كن عظيما في الشعوب والزمن
العلا، إن العلا
واجبات المسلم

* مجلة الفتح ،العدد ٥٤٩ ، العام الحادي عشر ، ٢ ربيع الأول ١٣٥٦هـ .

خـيـر عـالم خـلا
كـان فـينا ينتـمي

عاش مصطفى صادق الرافعي مكافحا في سبيل إسعاد أسرته وبنيه، لأن بيئته لم تساعده على ذلك، بالمقدار الذي يناسب نبوغه وفضله . وعاش مكافحا في سبيل الأدب نفسه، فكان مؤلفا عالما، وكان شاعرا من طبقة عالية، وكان بعد ذلك أكتب كتاب العربية، لا يعلو على نثره نثر، ولا يبلغ أحد شأوه في دقة التعبير وابتكار جليل المعاني من أتفه الأشياء وأبسطها .

ومصطفى صادق الرافعي هو صاحب كل قول يقوله، وإن شانئيه من أدعياء التجديد - الذين يسطون على معاني أدباء الإفرنج فيمسخونها بأساليبهم العامية الضعيفة - لو أن الله سلط عليهم من يرد كل معنى في نثرهم وشعرهم إلى أصحابه من فرنسيس وإنكليز، لانطلقت معانيهم كلها إلى أوكارها البعيدة ، ولبقيت أساليبهم العامية الضعيفة خلوا من كل شيء.

والذي سينتفع به مصطفى صادق الرافعي في موقفه غدا بين يدي ربه المعارك التي خاضها تحت راية القرآن دفاعا عن البنيان المحمدي الخالد وتنكيلا بالذين حدثتهم أنفسهم أن يعملوا على هدمه . وجهاد الرافعي في هذا الميدان كان جديرا بسليل بيت الفاروق . وأحب بهذه المناسبة أن أذكر له مزية عرفتها فيه غير مرة، وهي عزوفه عن الاعتزاز بالنسب وحرصه على أن يعرفه الناس جنديا من جنود الإسلام وأن يقدروه بما يرونه من قيمة جهاده .

إن الدفاع عن الفضائل، وعن الحرية، وعن حقائق الإسلام، كان سليقة في الرافعي يجري بذلك قلمه بغير تعمل ولا قصد، فكان هو بذلك شجى في حلاقيم مبغضي محمد ﷺ، وقد حاولوا كثيرا أن يضعوا من شأنه، وأن يحطوا من قدر أدبه، فلم يزيدوه إلا حرمة في نفوس الناس وإجلالا . وقلما حظي نثر معاصر باستظهار الناس له، وحفظهم بدائعه، كما رأينا المتذوقين حلاوة البيان العربي يحفظون آيات هذا النابغة وشواهد عبقريته ونبوغه.

رحمه الله رحمة واسعة، وأكثر في الأمة من خلفائه.

ذكرى الرافعي*

لم ألق في الأدباء مثلك مصطفى
تحكي براعتُه الحسام المرهفا

تحمي حمى أم اللغات بجده
وتذود عنها من بغا وتعسفا

قول كآيات الكتاب تنزلت
قد جل حسن بيانه أن يوصفا

كالصبح نورا والنسائم رقة
والدّرِ نظما والربيعِ مفَوفا

ألقى البيان قياده لك تنتقي
منه - كما شئت - الأرقَّ الألطفا

* * *

يا ناصر الفصحى بقولك لم تكن
متصنعا فيه ولا متكلفا

أعليت بالأدب الرفيع لواءها
فهفا على العرب الكرام ورفرفا

وأعدته شعبا قويا بعدما
قد كان أوهى ما يكون وأضعفا

فلتبقَ ذكراك الكريمة بيننا
فهي الأحق بيومها أن يحتفى

شعر: عبدالرحمن نجا

* مجلة الأزهر ، العدد الأول ، يونيو ، ١٩٦٣م.